

نادية عوض

مرايا القلب وانكسار الصمت



شعر

مَرَايَا الْقَلْبِ وَانْكَسَارِ الصِّفَتِ

هَرَايَا الْقَلْبِ وَأَنْكِسَارُ الصَّمْتِ

شعر

نادية جمعة

2026

اسم الكتاب: مرايا القلب وانكسار الصمت.

النوع الأدبي: شعر

المؤلف: نادية عوض

السنة: 2026

الرعاة للدراسات والنشر



الترقيم الدولي (ردمك): 978-9965-438-20-0

الطبعة الأولى 2026

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

لا يجوز إعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في أي نظام لاسترجاع المعلومات، أو نقله أو استنساخه بأي وسيلة أو بأي شكل، كلياً أو جزئياً، إلا بإذن خطي من الناشر والمؤلف.

المحتويات

٧	الإهداء
٩	مقدمة بقلم: سمير اليوسف
١٣	تراتيلُ الروحِ في محرابِ السلام
١٧	أنفاسُ العصافيرِ المهاجرة
٢١	على جبينِ هذا العالمِ انطفأتْ شمسُ النهار
٢٥	سلامٌ على أرضِ السلام
٢٩	نبضُ وطن
٣١	أيعشقُ الإنسانُ مدينةً؟
٣٣	صرخاتٌ في زمنٍ أصمّ
٣٥	للقدسِ حنين
٣٧	صراخُ الصمتِ وانكسارُ القلب
٤١	وطني
٤٥	صمتٌ وآلام
٤٩	ألا من نورٍ بين الظلمِ والظلام؟
٥١	حين تصرخُ الأرضُ
٥٥	أطفالٌ يرسمون أحلامهم
٥٩	قدسيّةُ الحياة
٦٣	أيها القلبُ مهلاً
٦٧	مرايا القلب

٧١	العالمُ الجديد
٧٥	غربةٌ وحنين
٨٣	في سكونِ الليل
٨٧	مساءُ إلهامٍ وضياء
٨٩	أريجُ الروح
٩١	مناجاة
٩٣	حين يتكلمُ النبض
٩٥	وهجُ الروح
١٠٣	قصيدتي تسأل: من أنا؟
١٠٥	بين الهمسِ والحنين
١٠٩	يومٌ مولدي
١١٣	يا سيدَ الانتظارِ الطويل
١٢١	واحةُ الحنان
١٢٧	متعةُ العيد
١٣١	حديثُ الروح
١٣٧	من يسكنُ قصيدتي؟
١٤١	رسالةٌ من الغياب

الإهداء

إِلَيَّ كُلِّ قَلْبٍ آمَنَ أَنَّ لِلْكَلِمَاتِ أَرْوَاحًا خَفِيَّةً، وَأَنَّ الشَّعْرَ نَافِذَةٌ
تُطَلُّ مِنْهَا الرُّوحُ عَلَى أَسْرَارِهَا، وَيُطَلُّ مِنْهَا الْإِنْسَانُ عَلَى الْعَالَمِ
بَعْيُونِ أَكْثَرَ صَفَاءً وَاتِّسَاعًا...

إِلَى الَّذِينَ وَجَدُوا فِي الْحَرْفِ مَلَاذًا، وَفِي الْقَصِيدَةِ ضَوْءًا يَبْدُدُ
عَتَمَاتِ الطَّرِيقِ، وَآمَنُوا بِأَنَّ الْجَمَالَ كَلِمَةٌ، وَأَنَّ الْكَلِمَةَ الصَّادِقَةُ
قَادِرَةٌ عَلَى أَنْ تَتْرَكَ أَثْرًا أَبْقَى مِنَ الزَّمَنِ.

إِلَى عَائِلَتِي الْعَزِيزَةِ، الَّتِي كَانَتْ السِّنْدَ حِينَ مَالَتْ الْخَطِيئُ،
وَالدَفْعَ حِينَ اشْتَدَّ الْبَرْدُ، وَالنُّورَ الَّذِي رَافَقَنِي فِي مَسِيرَةِ الْكِتَابَةِ،
فَكَانَ حُضُورُهَا الْخَفِيُّ يَسْكُنُ نَبْضَ هَذِهِ الصَّفَحَاتِ.

إِلَى أَصْدِقَاءِ الْحَرْفِ وَالْقَصِيدَةِ، رَفَاقِ الشَّغْفِ الْجَمِيلِ، الَّذِينَ
تَقَاسَمُوا مَعِيَ فَرَحَ الْكَلِمَةِ وَقَلْقَهَا، وَفَتَحُوا لِلْكَلِمَاتِ آفَاقًا أَرْحَبَ
لِلتَّحْلِيلِ.

إِلَى كُلِّ قَارِيٍّ تَوَقَّفَ عِنْدَ قَصِيدَةٍ، أَوْ أَنْصَتَ لَهْمْسَةٍ بَيْنَ
السُّطُورِ، أَوْ تَرَكَ فِي رُوحِي أَثْرًا مِنْ مَحَبَّةٍ وَوَفَاءٍ...

إِلَيْكُمْ جَمِيعًا أَهْدِي هَذَا الدِّيَوَانَ: «مَرَايَا الْقَلْبِ وَانْكَسَارِ
الصَّمْتِ»، نَفْحَةً وَدَّ وَامْتِنَانًا، وَقَطْرَةً مِنْ نَبْضِ الْقَلْبِ الَّذِي مَا
زَالَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ الْكَلِمَةَ الْجَمِيلَةَ قَادِرَةٌ عَلَى أَنْ تُضِيَّءَ شَيْئًا مِنْ
عَتَمَةِ الْعَالَمِ.

نادية

مقدمة

بقلم: سمير اليوسف

في هذا الديوان، «مرايا القلب وانكسار الصمت»، تفتح الشاعرة نادية عوض نوافذ الروح على عوالم متعددة من التأمل والبوح، فتجعل من القصيدة مرآة تعكس نبض الإنسان في لحظات فرحه وألمه، ومن الكلمة جسراً يعبر فوق مسافات الفقد والحنين والأمل. إننا أمام تجربة شعرية تنبع من قلبٍ شديد الحساسية تجاه الإنسان وقضاياه، وتستمد مشروعيتها الجمالية من قدرتها على تحويل المعاناة إلى لغة، والذكريات إلى صور، والوجع إلى طاقة من التأمل والإشراق.

تتميز الشاعرة بأسلوب يجمع بين العذوبة والوضوح من جهة، والرمزية والإيحاء من جهة أخرى. فهي لا تكتفي بوصف المشهد أو نقل الشعور، بل تسعى إلى بناء فضاء شعري تتحول فيه العناصر الطبيعية والإنسانية إلى علامات دلالية نابضة بالحياة. فالطائر المهاجر، والنافذة، والضوء، والبحر، والياسمين، والطفل، والوطن، كلها رموز تتكرر في الديوان لتؤدي وظائف جمالية وفكرية تتجاوز معناها المباشر، وتغدو مفاتيح لقراءة التجربة الشعرية في أبعادها المختلفة.

وتتوزع موضوعات الديوان بين الدعوة إلى السلام في مواجهة الحروب، واستحضار الوطن بوصفه حضناً روحياً لا يغيب، والتعبير عن آلام الفقد والاغتراب، والاحتفاء بالحياة وقيم المحبة والرحمة، إضافة إلى قصائد وجدانية تنبض بالعشق والحنين والمناجاة. وفي جميع هذه الموضوعات تحافظ الشاعرة على صوتها الإنساني الذي ينحاز إلى الإنسان البسيط، وإلى الطفل، والأم، والمغترب، والمكلوم، ويجعل من القصيدة مساحةً للدفاع عن الجمال في عالم تتكاثر فيه أسباب القسوة.

أما الصورة الشعرية في هذا الديوان فتقوم على التداخل بين الحسّي والروحي، حيث تتحول الأشياء اليومية إلى مشاهد ذات أبعاد رمزية عميقة. فالضوء ليس مجرد ضوء، بل هو رمز للخلاص والأمل، والصمت ليس غياباً للكلام فحسب، بل مساحة تتكشف فيها المشاعر والأسئلة، والقلب ليس عضواً نابضاً بالحياة فقط، بل عالم كامل من الرؤى والذكريات والانكسارات. ومن خلال هذه الصور تنجح الشاعرة في بناء مناخ شعري تتجاوز فيه الرقة مع الحزن، والحنين مع الرجاء، والواقع مع الحلم.

إن هذا الديوان لا يقدم قصائد منفصلة بقدر ما يقدم رحلة شعورية وفكرية متكاملة، تبدأ من انكسارات الذات وأسئلتها، وتتمر عبر هموم الوطن والإنسان، لتنتهي إلى الإيمان بأن النور

قادر دائماً على أن يولد من قلب العتمة، وأن الحب ما يزال القوة
الأجمل القادرة على ترميم ما تهدم في الروح والعالم.

هذا الديوان كُتب بمداد القلب قبل القلم، وحمل شيئاً من
وجع الإنسان وأحلامه، ومن شوقه الدائم إلى السلام والمحبة
والطمأنينة. لعلك تجد في هذه القصائد صدىً لتجربة عشتها، أو
حلماً راودك، أو ذكرى مرّت بك ذات مساء. وإن كانت القصيدة
مرآة كما تؤمن الشاعرة، فإن أجمل ما تتمناه هو أن يرى كل قارئ
في هذه المرايا شيئاً من ذاته، وأن يغادر صفحات هذا الديوان وفي
قلبه فسحة أوسع للأمل، وإيمان أعمق بأن الكلمة الجميلة قادرة
على أن تضيء عتمة الطريق، مهما طال الليل.

تراتيلُ الرّوحِ في محرابِ السّلام

أَيْنَ أَنْتَ أَيُّهَا السّلامُ؟

يَا قِبْلَةَ التّائِهِينَ،

أَثْرَاكَ

فِي قَلْبِ أُمٍّ تَدْعُو لَوْلِيدِهَا،

تَغْفُو الْعَيُونَ عَلَى دَمْعِهَا

عِنْدَ نَافِذَةِ الْمَسَاءِ؟

أَمْ أَنْتَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ

تَضُمُّ عَابِرِينَ هَجَرُوا

أَوْطَانَهُمْ؟

وَقَدْ ضَاقَتْ بِهِمُ الْمَدُنُ

الْمَنْكُوبَةُ بِضَجِيجِهَا،

وَاتَّسَعَتِ الْقُلُوبُ لَجَرَا حِهَا؟

نَبِحْتُ عَنْكَ

فِي عَيُونِ الْأَطْفَالِ الْبَرِيئَةِ،

أطفالٌ ينامونَ جوعاً،
يرتجفونَ رعباً وتيهًا،
في خبزِ الفقراءِ،
في صلاةِ المتعيين.
يتسمَّمُ الهواءُ، ويُصلَبُ الحبُّ على الجدرانِ الحزينةِ.
يا صانعي الحروب،
أينَ السَّلامُ من قلوبِكم؟
ألمَ يُخلَقِ القلبُ ملاذًّا للرَّحمة؟
أم مأوىً للقسوة؟
أيُّ ربحٍ تعصفُ في صلاتِكم؟
تُحوِّلُ الحقولَ إلى رمادٍ، والأناشيدَ إلى نشيجٍ وعويلٍ.
هل أصبحَ الرأيُ سيفاً؟
ابحثوا عن نافذةٍ للنَّورِ في قلوبِكم،
نوراً يوقظُ الضَّميرَ،
ويضيءُ أقباسَ السَّلامِ.
لا تكنْ بعيداً أيُّها السَّلامُ،

فقدنا الطريق.

إليك أضعُدُ بسُلَّمٍ من الآهات،
وبوهجِ حروفي أناديكَ، حتّى تُشرقَ في دروبنا،
حاملاً إلينا...

سكينةً في الرّوح،
وطمأنينةً في القلب،
وعدلاً يمشي بين النّاس،
في ارتجافِ روحِ أضنتها الحروب.
يا واهبَ السّكينةِ للقلوبِ إذا ارتعشتْ،
ويا باسطَ الرّحمةِ على الأرضِ إنْ قستْ،
أنزلْ على هذا العالمِ سلامًا
يطفئُ نارَ الحروبِ،
ويغسلُ وجهَ الأيّامِ من رمادِها،
كي يُزهرَ الإنسانُ في ربيعِ الأرضِ سلامًا.
يا إلهي، أنزِ طريقَ السّلام
على أرضٍ أنهكها الانتظارُ

لزراعة الخير.

اجعل قلوبنا مفاتيح حب وحنان،

وأيدينا جسورًا للسلام.

اللهم ازرع في هذا العالم

أملًا لا يخبو بالسلام...

أنفاسُ العصفيرِ المهاجرة

حينَ تضيقُ الأرضُ بالدفءِ،
وتتحوَّلُ الأوطانُ إلى حلمٍ بعيدٍ لا يُطال،
يولدُ في القلوبِ جناحٌ خفيٌّ
يدفعُها نحوَ المجهولِ، لعلَّها تجدُ سماءَ أقلَّ وجعًا.
العصفيرُ المهاجرةُ ليستُ طيورًا فقط،
إنَّها وجوهُ البشرِ حينَ يرحلون،
يحملونَ في حقائبهم فتاتَ الذاكرةِ،
وفي أعينهم ظلَّ وطنٍ لم يُغادرهم يومًا.
يهاجرون، لكنَّهم مثلُ تلكِ العصفيرِ
يتركونَ خلفهم نعمةً حزينةً
تُغنيها الرِّيحُ كلَّما مرَّتْ على أطلالِ البيوت.
في حركتهم وجعٌ جميلٌ،
وفي حينهم ضوءٌ يُشبهُ خشوعَ الصَّلَاةِ.
إنَّها حكايةُ الرِّحيلِ الدَّائمِ،
حكايةُ الإنسانِ الذي كلَّما حاولَ التَّجَاةَ

عادَ في قلبه إلى البداية... إلى الوطن.
ليستْ كلُّ العصافيرِ تُحبُّ الرّحيلَ،
لكنَّ البردَ أقسى من الذّكرى،
والوطنُ حينَ يضيقُ بالدّفءِ
يدفعُ أبناءه نحوَ الأفقِ كأنّهم أمنيّاتٌ مؤجّلة.
ترحلُّ العصافيرُ،
وفي عيونها ظلُّ بيتٍ صغيرٍ
ينتظرُ فوقَ غصنٍ مكسور.
تحمّلُ على أجنحتِها وجعَ المسافاتِ،
وصدى الأمّهاتِ على النّوافذِ،
ونكهةَ الخبزِ الذي لم يبرّد بعد.
تُحلّقُ...
لكنَّ السّماءَ ليستْ وطنًا،
إنّها طريقٌ بينَ غيمتينِ،
حلمٌ مؤقّتٌ بالنّجاةِ.
وحينَ تهدأُ العاصفةُ،
تتذكّرُ الأعشاشَ التي هُدمتِ،

والأغصانَ التي نادتْ بأسمائها.
كم تُشبهُ العصافيرُ البشرَ؛
يُهاجرونَ بأجسادهم،
لكنَّ قلوبَهم تبقى هناك،
تحومُ حولَ وطنٍ لا يزالُ يغفو في ذاكرةِ الحنين.
وتمضي العصافيرُ نحوَ المناقي،
وفي قلبها من شتاءِ البلادِ نداءٌ،
تُخبئُ سرَّ الحنينِ بجرحٍ،
وتحملُ في الرِّيحِ صوتَ الدَّعاء.
فإنَّ عادَ دفءُ الربيعِ يومًا،
وعادَ إلى الغصنِ لونُ الضَّياءِ،
سترجعُ - مهما أ طالَ الرِّحيلُ -
طيورُ الفراقِ إلى موطنٍ كانَ
يومً...
بدايةَ كلِّ البدايات.

على جبينِ هذا العالمِ انطفأتْ شمسُ النهارِ

انطفأتْ شمسُ النهارِ.
طالَ ليلُ الرّيفِ، واشتدَّ الظّلامُ،
وتعشّرتْ قيمٌ في دروبٍ من دخانِ.
وصارَ الصّدقُ رجلًا غريبًا،
يطرقُ الأبوابَ
ولا يُفتَحُ له، رغمَ راياتِ السّلامِ.
هل نامتِ العدالةُ في سريرِ الأقوياءِ؟
وقيّدَ الميزانُ بذهبِ الطّغاةِ؟
صارَ الظّلمُ قانونًا يُتلى،
والحقُّ وهمًا،
يُقمعُ صوتهُ بالصّمتِ والاتّهامِ.
حربٌ، وخوفٌ يكبرُ... يكبرُ في الرّوحِ،
ووطنٌ من رماذٍ هاهنا...
وأَمْهاتٌ يُخفينَ الدّموعَ،

تسبقُ التَّجاعيدُ أعمارَهُنَّ.

أطفالٌ يكبرونَ من الصَّبْرِ والصَّمودِ والجوعِ.
ألعابُهُم طارتُ شظايا، وأحلامُهُم أصواتُ إنذارِ.
على بابِ هذا الزَّمنِ، أفقٌ يساومُ ظلَّ الظَّلامِ.
تموتُ الأجسادُ،

وتبقى الأرواحُ حيَّةً تتذكَّرُ، عابرةً بحارَ الصَّمتِ،
تُفتِّشُ عن صوتٍ في الزَّحامِ.
أصبحَ الإنسانُ رمزاً يُعادُ اختصارُهُ في ختامِ،
أو رقماً على هامشِ الكونِ.
تغيبُ شمسُ الحقِّ،

لا، ليسَ غروباً...!
هل غُيِّبَتْ، يا نورُ، قسراً، وأُطْفِئَتْ أقباسُ الحياة؟
حينَ ارتفعتْ راياتُ الأوهامِ،
وُسُحِّقَتْ تحتَها أحلامُ البؤساءِ؟
صارَ النَّهارُ هدرًا،
بعدما كانَ فجرًا...
والنَّورُ مجردَ خيالِ.

مَنْ سُمُّوا أَوْصِيَاءَ النَّظَامِ،
يُلْغَوْنَ حَقًّا، وَيُتَرُكُونَ ظُلْمًا،
يَتَخَفُونَ فِي هَيْئَةِ سَوَالٍ.
الْأَرْضُ عَطَشَى لَخُطْوَةِ صَدَقٍ، لَدَمْعَةِ عَدْلٍ،
لِضَمِيرٍ حَيٍّ لَا يُسَاوِمُ
أَوْ يَنَامُ.
مَا دَامَ فِي الْقَلْبِ نَبْضٌ يَقُولُ: لَا،
وَمَا دَامَ فِي الرُّوحِ شَوْقٌ لِلتَّقَاءِ،
سَيَسْطَعُ نُورُ الشَّمْسِ يَوْمًا،
لِيُغْسَلَ هَذَا الْجَبِينِ
مِنْ دَوَامَاتِ الظَّلَامِ.

سلامٌ على أرض السلام

سكتَ الكلامُ،
وجفَّ حبرُ اليراع،
وصمتت لغاتُ العالم...
أتنفَّسك يا وطني رغم الجراحات،
أنتَ للسلامِ وردةٌ ياسمينِ
دمشقيَّةٌ تُرتلُ ترانيمَ السلامِ بينَ الكنيسةِ والمسجدِ.
هل حلَّ بكَ عصرُ الضِّياعِ،
أم حلَّ بخلائِكَ عصرُ الانصياعِ؟
أرادوكَ غنيمةَ حربٍ... وضيفةَ حَوَزِ،
أو منتجعاً فوقَ الدِّمارِ.
أيعلمون أنَّ عمركَ خمسةُ آلافِ عامٍ؟
سأغلقُ نافذتي...
لا أُطيقُ سماعَ بكاءِ المكلمينَ بصوتِ الشَّقاءِ،
وبكاءِ مؤذِّنِ عبرِ الأثيرِ،
دعواته تجوبُ السَّماءِ،

وَكأنَّ الشَّمْسَ تَغْدُو إلى انطفاء.

أَيُّهَا الملائكةُ، أَلَا تَسْتَجِيبُنَ

لأَطْفالٍ صَمَتُوا...

وَقُلُوبُهُمْ ما زالتْ تَنْبُضُ بالحياة؟

تَشعُّ عَيونُهُمْ بَريقًا

لِلقَمَرِ، مُسْتَغِيثَةً:

أَلَا مِنْ نَورٍ أَوْ نِجاةٍ...؟؟

يا إِلَهي، لِمَ العِصافيرُ تُغادرُ أعشاشَها قَبْلَ الأوانِ؟

وَهَلْ يُقْتَلُ الجِمالُ

وَفِي الرُّوحِ حُبٌّ لِلحياة؟

أَيُّهَا القَدَرُ، أَلَا تُعيدُ

لِلأَرْضِ رُوحَها،

وَلِلإنسانِ كِرامَةَ الحياة؟

أَدعوكَ، أَرْفُقُ بِهِمْ،

عائِقُ قُلُوبِهِمْ

مِنَ المَوْتِ وَالدِّمارِ،

وَأَمْنَحُهُم الأَمْنَ والأَمَانَ.

اللهمَّ أنعمْ عليهم
بأنَّ يحلَّ السَّلامُ
في أرضِ السَّلامِ،
وطنٌ يتسامى بإشعاعِ مجدِّ،
فنارُ دلالةٍ، ونبراسُ صمود.

نبض وطن

شروقُ الصبَاحاتِ وعطرُ الياسمينِ أين يكون؟

وطني أحبك فوق الظنون

يا وجهَ صبحٍ يبتُّ الهيامَ

وحبًّا يزيلُ همومَ الظلام

يا رَسمةَ نورٍ كبدرٍ تكون

يا بَسمةَ روحٍ وقتَ السكون

همساتُ قمرِكَ بنورٍ حنون

خيرًا يهَلُّ بعدَ رعدٍ

كقطرِ الغمام

مطرٌ على أشجاره، وندى على أحجاره،

وزيتونةٌ عمرُها ألفُ عام.

وطني، لي بك ما بغيرك

من كوثرٍ عذبٍ ودارٍ سلام

قلبٌ صبورٌ ونثرٌ زهورٍ

وعهدٌ لا يزول

بأيّ ذريعةٍ يا قلبُ تقسو

على وطنٍ ونبعةٍ عشقٍ

على سنابلٍ يافعةٍ

بالخيرِ تدنو

تناديكِ روعي على سبيلِ الشوق

لموسمِ زرعٍ، وألقاكِ سرّاً

بين خواطري والسطور

وطني أحنُّ إليك

في سفري وفي حضري

ويقظتي ومنامي

هاجت شجوني، وأينعت أشعاري

على ذكرى الصبا ومراتع الآرام

لكلِّ إنسانٍ وطنٌ رغيْدُ العيش

يحلم أن يكون.

أعشق الإنسان مدينة؟

جمالكِ مدينتي
في البحر والجبل
يا قدس، إني العاشقُ
وأرضكِ الحبيبةُ
بلا جدل
تنصتُ روعي لندائكِ،
والقلبُ لا يقوى الهجر
يا قبة الصخرة أقفُ لكِ إجلالاً..
تستفيقين صباحاً في
مرج زنابقٍ
من نرجسٍ وشقائق حُمرٍ
كجَلِّ نارٍ
غطّى مرجكِ بالورد والمحار
سحرٌ يرقصُ في أزقتها، على أسوارها،
أبوابها..

والخيلُ في تاريخِها
تأتي وتغدو
يا دروبَ الحبِّ خذيني إليها..
لعلّها تروي الروح،
والأيامُ تعدو..
منارةٌ دربي،
كم طربتُ لأصواتِ بائعِتها..
على أسوارها أرسمُ لوحتي وأغني،
أنشدُ أشعاري وأطوبها
وقفاً..
كي لا أقولَ شعراً إلا إليك.

صرخاتٌ في زمنٍ أصمّ

شمسٌ تغيبُ وسماءٌ تبكي،
وزخّاتٌ رصاصٍ هناك...
وأرضٌ يصرخُ ترابُها،
والأشجارُ تأبى أن تموت.
صراخُ أطفالٍ، وخرابٌ وجوع،
فيضٌ من الدموعِ
فوق أكوامِ الدمار.
أطفالٌ غابت أحلامُهم،
وغادرتهم بسمَةُ الفرح،
يبحثونَ عن شربةِ ماء.
ينتظرونِ الدفءَ في الملاجئِ،
وشمسَ الصباحِ في عيونهم
أمنياتٌ مبعثرة،
في الأفقِ كالغبار.
صمتٌ حروفُ القصيدة،

وعلى الأشجارِ
سكتَ تغريدُ الطيورِ.
أطيارٌ طارتُ إلى شواطئِ البحارِ،
ولم يبقَ سوى أنينٌ وحنين
إلى الربيعِ والأزهارِ.
كم طالَ ذراعُ الليلِ والظلامِ.

للقدس حنين

في حدائقِ الحنين
يتورّدُ غصنٌ
كنا نتكئُ عليه
عند بابِ الأسود
وتكتبُ يدُكِ ويدي
أغانيَ فرحٍ
عند بابِ الساهرة
نرسمُ معاً
نقشاً على أطرافِ رسائلِ الهوى
على درجاتِ عقبةِ الأصلحة
تتقدُّ النجومُ
في ليلةِ الميلاد
طوالَ محطاتِ
دربِ الألمِ
غمرتها أتربةُ الهجرانِ، وتلعثمُ النبضُ،

واستوقدَ جمرَ الحنينِ في فؤادي

سادَ الصمتُ،

ولاحَ شعارُ السهر

فوق أريكةِ العاشقين...

كي يرتوي العاشقون من الحنين،

وتفيضَ ينايغُ الهوى...

كزخّاتِ المطر

بعد برقٍ ورعدٍ

على متنٍ وردٍ

بلّله الياسمين...

وأنا لكَ حبُّكَ الأزلي.

صراخُ الصمتِ... وانكسارُ القلب

آلاءُ، طبيبةُ القلوبِ الصغيرة،
تضمّدُ جراحَ الطفولةِ بأصابعِ الحنان،
لكنّها باتتْ تسمعُ أسماءَ تسعةٍ من صغارِها،
يعودونَ إليها...
لا على أقدامِهم،
بل ملفوفينَ بالكفنِ كأكاليلِ موتى.
إلهي...
أهذا كابوسٌ فاغرُ الفمِ من زحامِ الألمِ وهديرِ الدمارِ؟
الكلماتُ تختنقُ في حلقي كأنّها شهقةٌ أخيرة،
ولا أسمعُ إلا صدى أنينٍ يتردّدُ في جدرانِ روحي.
تساقطتْ أوراقُ شجرتي في ربيعِها،
داسها الغيابُ بأقدامه الثقيلة،
فهل جاءَ الخريفُ قبل مواعده؟
أم أنّ الزمنَ انكسرَ في عيني؟
خبّتْ نجومُ القمرِ،

وتواری زُرُقُ السماءِ كأنَّها انطفأتُ في عينيَّ،
وصارت رمادًا يحترقُ تحتَ الركامِ.

مدينتي تهدمت،

وقلمي تاهَ في ركامِ الذكري،

فكيف لي أن أنساهم؟

كيف أدفنُ الذاكرة؟

أصواتُهم تصرخُ في زوايا قلبي نداءً لا يخبو،

وفي كلِّ صمتٍ يتسعُ داخلي،

أراهم...

ضحكاتُهم ترنّ كأجراسٍ ماضٍ سعيد،

وكلُّ نسيمٍ عابرٍ يحملُ عبيْرهم،

كأنَّ الهواءَ لا يتنفسُ إلا من رائحتِهم...

والأرضُ،

لم تعدْ تُنبِتُ إلا آهاتٍ من طينِ الحزن.

أعلمُ أنَّ أمّهاتِ وطني كلَّهنَّ ثكّالي،

فهل كُتِبَ عليَّ أن أرتدي الوشاحَ الأسود؟

وهل ستولدُ من رحمي هذه المرّة أحزانٌ جديدة...؟

لمن أروي حكاياتِ النومِ مساءً؟
لمن أفتحُ كُتُبَ النورِ كي تحلمَ ملائكتي؟
غرفتي صامتةٌ كالقبر،
وأُسَلِّتي معلقةً في الهواء.
إلهي،
كم طعنةٌ بعدُ سيحتملُ هذا القلبُ الجريحُ؟
وَجَعُ وطنٍ... شهقاتي.
الآن، أشهقُ تسعًا،
أرواحًا طاهرةً ترتفعُ إليك،
كفراشاتِ نورٍ تخترقُ ليلَ السماء.
يا أرحمَ الراحمين، إليك دعائي:
هَبْ لي صدرًا من صبر،
وقامةً من ثباتٍ
أقوى بها على الوقوفِ فوق رمادِ حزني.

وَطَنِي

خارطة نبضٍ يسري في القلب،
أغنية... أنشودة لا تنتهي،
يشدو بها الأطفال في فم النهار.
على شواطئك ضجّت
الأحلام والأوجاع.
زيتونة أنت بألف عام،
كالشمس ساطعٌ دوماً،
حزنٌ أم حين تضيقُ بنا الدنيا،
وخطوة أبٍ على التراب
كانّها صلاةٌ تفتحُ أبوابَ السماء.
يا أيّها الوطن...
ذاك الذي إذا ذكرته
تهادى إلى ذاكرتي
رائحةُ الخبز والزيتون والزعر،
وضحكاتُ الجيران عند أبوابِ المساء.

أعشقُ مناجاتَكَ،
يسرقني إليك الوجدُ
كلَّ ليلٍ وكلَّ نهارٍ.
على نورِ القمرِ
أحكي لك حكاياتي،
وأسمعك آهاتي.
في حضنك ... في دفئك ...
تتلاشى مأساتي.
أيُّها الموتُ الخرافي،
كفَّ عن وطني.
داوِ جراحك يا زمني ...
مسرَّحٌ أنت، وكلُّنا جمهور،
وربابةُ عشقٍ لك تملأُ الصدور،
وطفولةٌ لن تموت.
عالمٌ أنت من نور،
سكونُك شعراً ... ونسيمُك بخور.
أشتاقُك كما تشتاقُ السحابةُ جبالها،

وأحنّ إليك حنينَ وردةٍ أضاعتْ نداها.

يا بيتاً من نورٍ لا يخبو ضياؤه،

ويا ظلاً يحرسُ الروحَ روحه...

للوطنِ لا يُقالُ حبٌّ فحسب،

بل يُقالُ له: أنتَ الحياةُ بعينِها.

لا تيأس، وإن ضاقتْ بك السُّبُلُ،

فالحُلُمُ يبقى، وإن جار بك الزمن،

والنورُ يأتي بعد الليلِ مكتملاً.

صمتٌ وآلام

العالمُ يختنق...
والقصيدةُ لا تتنفسُ،
والمآذنُ تصمت
عن وجعِ الصباح.
أطفالُ حفاة
ينامونَ على
إسفلتِ الغياب،
والماءُ...
ماءُ النشيدِ القديمِ
نَفَدَ من الجرار.
كلُّ يومٍ
نشيعُ الأملَ
في نشراتِ الأخبار،
نبتهلُ
باسمِ الله، باسمِ الوطن،

باسمِ انتظارٍ لا يجيء.
مَنْ يَكْتُبُ لِلطَّيُورِ الْمَهَاجِرَةِ
عَنْ عُشٍّ
أُصِيبَ بِالْعُرْيِ؟
عَنْ أُمٍّ
نَسِيتُ لَحْنَ الْحِكَايَةِ؟
عَنْ نَهْرٍ
انكسرَ مجراه؟
صَمْتُ يَلْفُ كَوَكْبًا يَتِمًّا،
وَالْأَلَمُ يعلو
كشجرةٍ بلا ثمر،
كمن يهمس:
«أَنْتُمْ نُزْلَاءُ فِي وَجَعٍ جَمَاعِي،
غُرَبَاءُ حَتَّى فِي قُلُوبِكُمْ،
وَحَزَانِي بِلا عِزَاء.»
يَا إِلَهِي،
أَعِدْ لِلْعَيُونِ دَفَاءَ نَظَرَاتِهَا،

وللياسمين عِطْرَ ربيعِهِ،

وارفَعْ عن الأرضِ

هذا الحزنَ الثقيلَ،

وامنَحْنَا

فسحةً أمانَ.

علَّنا نسمَعُ صوتَكَ

وسط هذا الصمتِ،

وهذه الآلامَ...

امنَحْنَا السلامَ.

ألا من نورٍ بين الظلمِ والظلام؟

تنوءُ الأرواحُ في الليالي الطويلة،
ويظللُ القلبُ في صمتٍ عميقٍ.
ظلمٌ يطرُقُ أبوابَ الروحِ دونِ استئذانٍ،
وقلوبٌ ترتعشُ تحت وطأةِ فقدانٍ.
ظلامٌ يسكنُ عيونَ المتعبين،
ويزرعُ الخوفَ بين طرقاتِ اليائسين.
تخنُقُ الأمانى، ويكتُمُ الصراخُ،
وتُغلقُ أبوابُ الرحمةِ في الصدورِ.
تصرخُ الأرواحُ على جبالِ الظلمِ العاليةِ،
تتوشَّحُ الأرضُ بالسوادِ صامتةً،
ويصرخُ الليلُ في صمتٍ مُتنفِضٍ.
يعلو صوتُ الظلمِ على الوجوه،
ويذوبُ الضحكُ بين رمادِ الذكرياتِ.
تهربُ الأرواحُ من قفصِ الظلامِ،
وتنوءُ العيونُ بين شرفاتِ الغيابِ.

لكنَّ القلبَ يزرعُ شمعةً صغيرةً،
وتمشي الخطى على جسرٍ من الحنين،
تبحثُ عن ضوءٍ بين أنينِ السنينِ.
ويصرخُ القلبُ وينبضُ رغم قسوةِ الزمانِ،
القمرُ يهمسُ، والنجومُ تبكي على ظلمٍ وظلامِ.
الشمسُ تشرقُ وإن غابت،
والضياءُ يسطعُ بعد غيابِ.
ففي كلِّ ظلمٍ يولدُ صبرٌ صامتٌ،
وفي كلِّ عتمةٍ يولدُ نورٌ بديعٌ.

حين تصرخُ الأرض

تولّد القصيدةُ من رمادِ الركام،
وتموتُ حين تغدو الحروبُ قوافيها.
أما آنَ للدموعِ أن تجفّ،
وللقلوبِ أن تهدأ،
وتستكينَ النبضاتُ؟
غدتِ الأمُّ ثكلى،
والطفلُ يتيماً،
وفي كلّ زاويةٍ
جوعٌ ووجعُ الحكايات...
يمضي الليلُ بلا نوم،
والقصفُ يسابقُ الأنفاسَ...
هل يسمعُ العالمُ؟
وهل يرى؟
وأيْنَ أُمّتي؟
هنا،

تُذبحُ الكلماتُ،
ويُغتالُ الحلمُ أمامَ العدساتِ...
تغضبُ السماءُ، فتمطرُ نارًا،
والأرضُ تصرخُ:
كفى آلامًا!
أين أنتم؟
أما زالتِ بلادُ العربِ أوطاني؟
في بغدادَ لي حلمٌ،
وفي اليمنِ لي سكنى...
في مكةَ كعبةٌ طافتُ حولها
الأرواحُ ودموعُ العاشقين.
ألا في مصرَ والشامِ
طلعَ فجرٌ وحدثنا....
أما آنَ للمجدِ القديمِ أن يعود؟
ألستم إخوةَ النبلاءِ؟
وأصلَ العلمِ والعلماءِ؟
ما زلتُ أنشدُ مجدكم في أشعاري، وأبكي

على وطنٍ سالتُ جراحه...
أما زلتم بقعةً على خارطتي؟
أليست أرضكم أرضي؟
ما ارتوتِ الأرضُ دماً،
ولم يزل في القلبِ نبضٌ لا يموت...
نشأتُ طفلةً على ترابكِ، يا وطني،
أُنشد: بلادُ العربِ أوطاني...
من الشامِ لبغداد...
هل من مُجيب؟

أطفالُ ترسمُ أحلامًا

على جدرانِ أنقاضِ البيوت،
ضحكاتُهم، كالعصافيرِ، تعودُ من رمادِ الخوفِ،
وتغسلُ وجهها بماءِ الوردِ.
يرسمونَ وطناً من قُطنِ الغيومِ،
وشمسًا تخرجُ من كفِّ الأملِ بلا دموعِ.
تلمعُ في عيونهم غزّةٌ أبهى،
شاطئُ الرمالِ يعزفُ مدًّا وجزرًا.
أطفالُ ترسمُ أحلامها
على جدرانِ الغيابِ،
وعلى أرصفةِ المدينة،
وعلى بيوتِ ثكلى هجرتها العصافيرُ.
يرسمونَ أشجارًا تنبتُ فوق الركامِ
بأصابعِ صغيرةٍ ترتعشُ خوفًا،
يُلَوِّنونَ الشمسَ بعيونِ
تلمعُ بنظراتِ الأملِ.

يبتسم القمرُ لهم شاهداً،
وتتلاأُ النجومُ كمصابيحٍ رجاءٍ.
أصواتُ الانفجاراتِ
ما زالتُ في آذانهم،
يحملونَ عبءَ كوايسها،
ويننونَ بيوتاً من الظلال،
ويمدّونَ الجسورَ بينَ القلوبِ الصغيرة.
يرسمونَ طيورَ النوارسِ عائدةً فوقَ البحر،
تحملُ بشائرَ السلام،
يُلَوِّنونَ الشمسَ بأقلامٍ
من خيوطِ الفجرِ الحنون.
ويعودُ البحرُ يُغني للمدينةِ
بأواجهِ المتراقصةِ على نغمِ الفرح.
يرسمونَ أحلاماً ألوانها من الحنين،
أطفالٌ يُبْتَونَ الضحكاتَ كزهورِ الربيعِ الذي لم يحنْ بعدُ،
تشبهُ الحكاياتِ التي لم تُرو،
تُخبرُهم أنَّ السلامَ آتٍ،

وَأَنَّ الْغَدَّ يَنْتَظِرُ
أَنْ تَمْسَحَ الْمَدِينَةُ الْغُبَارَ عَنِ الذَّاكِرَةِ.
يُزْرَعُونَ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ
بَسْمَاتٌ صَغِيرَةٌ وَقُلُوبًا مَحَبَّةً،
حَتَّى تَعُودَ الْمَدِينَةُ مَنَارَةً
بِقُوسٍ قَزَحٍ يَعْبرُ السَّمَاءَ،
مَدِينَةٌ تُعَانِقُ الشَّمْسَ،
وَتَحْتَضِنُ أَحْلَامَ أَطْفَالِهَا.
يَكْتُبُونَهَا عَلَى الرَّمَالِ:
هَنَا تَبْدَأُ الْحَيَاةُ،
يَحْكُونَ حِكَايَةَ
وَطَنِ يَعُودُ إِلَى الْحَيَاةِ.

قَدْسِيَّةُ الْحَيَاةِ

الْحَيَاةُ نَفْسٌ كَوْنِي،

مِنْحَةُ اللَّهِ لِأَحْبَائِهِ،

ضَوْؤُهَا يَعْلُو عَلَى عَتَمَةِ الْوُجُودِ،

وَيَغْسِلُ صَفَحَاتِ الْعَدَمِ بِنُورِ أَبَدِيٍّ لَا يَخْبُو.

فَلِمَ تُدْفَنُ الْأَرْوَاحُ وَهِيَ حَيَّةٌ؟

وَالْمَوْتُ مَا خُلِقَ غَايَةً لِلْإِنْسَانِ،

بَلْ كَانَتْ الْحَيَاةُ رِسَالَةَ الْأَنْبِيَاءِ،

وَنَبْضَ الْحَقِّ فِي صَدْرِ الْأَكْوَانِ.

فَلْتُعَانِقْ صَبَاحَ الْوُجُودِ،

وَلْتَنْزِعِ الْأَمَلَ فِي تُرَابِ الدُّرُوبِ،

وَلْتَنْتَصِرْ لِلْحَيَاةِ كَمَا يَنْتَصِرُ النُّورُ عَلَى الظُّلَالِ،

وَكَمَا يَنْهَضُ الْغَيْمُ بِالْمَطَرِ بَعْدَ طَوْلِ انْطِفَاءٍ.

يَا إِلَهِي، بِيَدِكَ الْأَعْمَارُ كُلُّهَا،

فَلِمَ يُقَدِّسُونَ الْفَنَاءَ،

وَيُزْهِقُونَ الْأَرْوَاحَ بِاسْمِكَ؟

يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ،
قَدْسِيَّةُ الْحَيَاةِ مِثْأُفْكَ،
عَهْدٌ لَا تُبَدِّدُهُ صَحْبُ السُّيُوفِ،
وَلَا يَطْوِيهِ رَمَادُ الْحُرُوبِ.
ازرَعْ فِي الْأَرْضِ سَلَامًا،
فَالْحَيَاةُ شَجَرَةٌ لَا تُورِقُ
إِنْ سُقِيَتْ بِالذَّمَاءِ،
وَلَا تُثْمِرُ إِنْ سُقِيَتْ بِالْأَكْفَانِ.
أَطْلِقْ نَهَارَاتِكَ نَحْوَ النُّورِ،
فَالْمَوْتُ ظِلٌّ عَابِرٌ،
أَمَّا الْحَيَاةُ فَهِيَ وَعْدُ سَمَاوِيٍّ
يُقِيمُ فِي صُدُورِ الْكِرَامِ.
قِفْ وَاهْتِفْ:
أَنَا شَاهِدٌ حُبٍّ مِنْ سَمَاءٍ مَنَحَتْ الْوُجُودَ بَقَاءً،
أَنَا مِرَاةُ الرَّبِّيعِ حِينَ يَبْتَسِمُ لِلرِّيحِ،
وَلَنْ أَقْدَسَ الْمَوْتِ،
بَلْ أَقْدَسُ حَيَاةٌ تُزْهَرُ بِالرَّحْمَةِ،

وَتَتَقَدُّ بِعُنْفوانِ الْإِنْسَانِ.

يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ،

قَدْسِيَّةُ الْحَيَاةِ سَنَاهَا نُورٌ يَفِيضُ عَلَى الْأَكْوانِ،

فَلَا تُهْدِرُهَا فِي صِرَاعٍ عَابِرٍ،

فَالْحُبُّ أَزْكَى مَا يُخَلِّدُ جَنَّاها.

وَاذْرَعْ عَلَى دَرَبِ الْبَرِّيَّةِ زَهْرَةً،

تُحْيِي الْقُلُوبَ وَتَسْتَعِيدُ صَفَاها،

فَالْمَوْتُ ظِلٌّ،

وَالْحَيَاةُ رِسَالَةٌ،

عِشْها لِتُدْرِكَ أَنَّ رُوحَكَ مَأْواها.

قِفْ وَاهْتَفِ:

إِنِّي وُلِدْتُ لِتَبْضِئِها،

وَأَنَا الشَّاهِدُ عَلَى قَداسَةِ مَعْنَاها.

الْحَيَاةُ لَيْسَتْ كَبَشٍ فِدَاءٍ،

يَنْحَرُّها الطُّغَاةُ بِاسْمِ الْوَهْمِ،

بَلْ بِسَاطِ أَمَلٍ،

وَقِنْدِيلُ حُبٍّ يَشْتَعِلُ فِي الْمَدَى،

يُضِيءُ كَمَا الْوُجُودُ — بِلَا حُدُودِ.
الْحَيَاةُ فُسْحَةٌ الْبَشَرِيَّةِ
قَبِيلَ سَرْمِدٍ لَا يُدْرِكُ،
فَعِشْ، أَيُّهَا الْإِنْسَانُ،
وَانْهَلْ مِنْ شَهْدِ الْحَيَاةِ،
قَبْلَ أَنْ يَغْدُوَ الْوَقْتُ صَمْتًا فِي الْخُلُودِ.

أيها القلبُ مهلاً

أيها القلبُ مهلاً،
في صدري قلبٌ يخشى السكون.
تتسارعُ النبضات،
تتعثّرُ الأنفاسُ ويغيبُ الصوت.
تمضي كالنهرٍ مندفعاً،
تركضُ داخل أضلعي،
تخفقُ نبضاً،
يحكي حكاياتٍ.
تنزاحمُ الآهاتُ
في عيونك،
هلا همستَ للمدى شكواك؟
تعودُ إلى الذكريات.
يا خافقي،
دع الهمومَ على نوافذِ الانتظار

عند المساء،
تتلاشى مع فجر الصباح.
خذِ الأحزانَ وانشرها على أرضِ النسيان،
كفى بك تنبُّسٌ وجعًا.
مهلاً يا قلبُ.. تنتظرنا
عذبةُ الأحلام.
يخطُّ يراعي نبضَ الحياة.
يراك الناسُ قلبًا،
وأراك أنا نايًا،
ترتلُ صلاةَ الحياة،
لحنَ شوقٍ وحنين،
يراقصُ حروفي،
ترنمُ أنغامًا
بأنشودةِ الجمال.
اعزفْ يا قلبُ لحنًا من طيبِ الذكريات،
ليكنْ عزفُك عذبَ النغمات،

يشدو ويصدح
على غصونِ الأمنيات.
يا من ملكتَ الروح،
رفقاً بقلبي،
أغدقْ عليه سكينَةً وسلامًا.

مرايا القلب

القلبُ حين يمنحُ ما يحبُّ
تجدُ في العطاءِ حياةً،
وإذ نحبُّ، نمنحُ القلبَ المدى.
اتركْ لروحك أن تفيضَ بلا صدى،
أعطِ بلا عدٍّ،
دع القلبَ يلبي النداء،
نداءَ الروح بين يديه،
وينتهي الكلام.
وجعُ القلبِ ليس دمعاً،
إنه صمتٌ أو ضجيجُ النبضِ عالياً،
يضيقُ به صدرٌ.
إنه لغةُ الصمتِ بين الجسدِ والروح.
حين يعزفُ القلبُ ألماً،
تتبدلُ الدموعُ نبضاً،
في مآقيها تُحكى حكايةٌ،

تُبثُّ في النفسِ السَّعادةُ،
وتهمسُ لك بالأسرار.
ثمَّةَ فرقٌ
بين من يأخذُ ليملاً فراغاً،
ومن يعطي ليصنعَ حياةً.
من ابتسامَةٍ عابرةٍ،
ومن نظرةٍ صادقةٍ،
تُبنى الجسورُ بين القلوبِ،
وتجتازُ الأيامُ خطواتِها الدائمة.
وكلما ظننتَ أن الطريقَ انتهى،
يولدُ فجرٌ جديدٌ،
يقولُ لك: ابدأ...
فالعطاءُ بدايةٌ،
والقلبُ يخفقُ فرحاً للمحبةِ،
كطيرٍ وجدَّ سماءَهُ بعد طولِ انتظار.
تنوِّقُ الروحُ إلى عالمٍ،
يشبهُ حقلاً من محبةٍ وياسمين.

كفجرٍ يفيضُ نورًا في الدروب.
حين تصلي الطبيعة،
ثمّة شجرٌ يعانقُ الريحَ بلحظةٍ عشق،
ونهرٌ يوزعُ سرّه عدلاً بين العطاشى.
هي المحبةُ وعدُّ لقلوبِ الندامى،
والحبُّ وطنٌ لا يشيخ.

العام الجديد

رماذُ عامٍ مضى، وحلمٌ يتجدد،
عامٌ يعبرُ مثقلًا بظلالِ الحروب،
على كتفيه نشيْجُ الأبرياء
الذين لم يجدوا بعدُ الجواب.
عواصفٌ تعبرُ بيوتَ الضعفاءِ والفقراءِ،
تسرقُ الدفءَ والأمان،
وتقتلعُ الأحلامَ من بين الركام.
أحلامٌ تنامُ في القلب
كجمرٍ مغطى بالرماد،
كنتَ مواسمَ
بلا بيارَ ولا حصاد،
تخفي تراويلَ الحزنِ في جيوبِ الظلام.
كنتَ لغزًا صعبًا،
بلا ربيع، شتاءً قاسيًا لم ينْجُ
إلا من تشبَّثَ بحلمٍ صغير.

أيها العامُ الجديد،
ينهضُ في الصدرِ انتظارٌ عنيد
لغدٍ أقلَّ قسوةً،
وأفقٍ أقربَ عدلاً،
يبقى كضوءٍ صغيرٍ يأبى الانطفاء.
ألا تحملُ خلفَ السحاب
طيفاً لا يذوب؟
أيها الوعد،
لا تتلاش في صمتِ الغياب.
دعِ الشوقَ يرسمُ قوسَ قزحٍ من وهجٍ وضياء،
يتضوعُ عطراً زكياً
تداعبه الرياح.
أصحو من غفوتي
لأجدك هناك،
أيها القدر،
ألا ترى العيونَ التائهة
في عتمةِ الطريق؟

لا تساوم الضوءَ ولا تقاومهُ،
أما تحسُّ نبضَ الكلمات؟
ألا تسمعُ الآهات؟
تلتقطُ صداها نوارسُ،
تحلّقُ وتصدّحُ في الفضاء،
تشعرُ بوجعِ الزهر، وتصغي للحنِ الشجر.
أعيريني يا طيورَ السماء
جناحين،
لأحلّقَ نحو الغيمِ وضوءِ القمر.
هناك وعودُ عامٍ جديد،
وهناك حلمٌ وحياةٌ،
وقلبٌ يزهرُ في كلِّ عام.

عُرْبَةٌ وَحْنِين

منذُ رحيلِكَ،
والبيتُ يشبهُ مقعدًا
فارغًا في شتاءِ قارس،
والمساءُ يتدلَّى من النوافذِ
كأنَّه سؤالٌ لا يجدُ مَنْ يجيبُهُ.
أعيشُ وحيدًا،
يرافقني الصمتُ،
وتجلسُ الوحدةُ على كتفيَّ
كما يجلسُ العُمرُ
على مَنْ لم يعدْ لديه ما ينتظر.
يا ولدي،
كم يشبهُ الغيابُ موجًا
يضر بني بلا رحمة،
وحين أقول: «أنا بخير»،

تتنهدُ جدرانُ البيت،
تُذكرني
أنني لم أعد أحتاج الكثير...
يكفيني يومٌ واحد،
لحظةٌ واحدة،
أن ألمحَ ظلك
يعبرُ عتبةَ الباب،
أن أسمعَ وقعَ قدميكَ
يهزُّ الأرضَ
كما كان يهزُّ قلبي،
أن أعرفَ أنَّ الاسمَ
الذي أناديك به
ما زلتَ تسمعُ صداه،
وما زال يسكنني
كأبٍ فقدَ نصفه.
كلُّ ليلةٍ،

حين ينهكُ التعبُ عظامي،
أرفعُ رأسي نحو العتمة
وأناجيكَ:
«عُدْ إليَّ...»
عُدْ إلى البيت
الذي شيدتهُ لك
بحجارةٍ صبري،
وبأيدي داميةٍ أعيهاها التعب،
وأعياني الخوفُ عليك». .
يا بُني،
الفقدُ غابة،
والحنينُ نهر،
والوحدةُ مدينةٌ مهدّمة،
والغربةُ طقسٌ يخترقُ الروح.
أندكرُ يومَ تخرّجك...
كان الضوءُ يلمعُ على محياك الجميل،

وكان فخري بك
يسبِّقُ بخطوتين.
بكيْتُ يومها،
وأنا أعدُّ رِبطةَ عنقك،
كأنني أرتَّبُ سنواتك المقبلة،
كأنني أضمُّ العالمَ
كي لا يخذلك.
كان بكائي نهرًا
يشقُّ صدرَ أبٍ لم يعرف
كيف يُخبِّي الفرحَ بين أصابعه.
والآن...
حين أفتحُ أدراجَ الذاكرة،
أجدُ صورتك
أولَ مَنْ يستيقظ،
وأطيلُ النظرَ في ملامحها
حتى أسمعَ ضحكك

تدوي

في مكانٍ لا أصلُ إليه.

الغربةُ يا ولدي ليست مكانًا بعيدًا...

هي أن تمرَّ الأيامُ

ولا تمرَّ أنت أمامي،

أن يتقدَّم بك العمرُ

خارج دائرة صوتي،

أن أكبرَ وحدي...

وأنت تكبرُ بعيدًا.

صار البيتُ يتنفسُ وحده،

والجدرانُ باردةٌ

كأنَّها لم تعرف يوماً

دفعَ يديك.

والكرسيُّ الذي

كنتَ تجلسُ عليه

ما يزالُ يحدِّقُ في الفراغ،

يسألني كل مساء:

«أين ذهب؟»

ولماذا لم يعد؟»

أما أنا...

فلم أعد أنا.

أنا جسدٌ يسندُه الحنينُ،

وروحٌ يحملها الفقدُ

كما يحمل المغترُّ حقيقته

ولا يعرفُ أين يضعُها.

يا بُني،

لم أعد أخافُ الموت،

أخافُ أن أموتَ قبل أن أسمع

خطوةً من خطواتك تعود.

أخافُ أن تنطفئَ ذاكرتي

ولا يبقى لي منك

إلا صورةٌ

لا تُشبهُ دفءَ صدرك.
وإن سألك يوماً عني،
فقلُّ لهم:
كان أبي
شجرةً اقتلعتها الغياب،
وما زالت جذورها
تبحثُ عن خطواتي.
كان وطنًا صغيراً...
هدمه الفقد،
وهزمتُه الغربةُ والحنين.

في سكون الليل

حين نكتبُ
يتلألُ نجمُنا،
يشقُّ في الصفحاتِ عطرَ أنفاسِك،
ترسمُ جبهاتَ الزمانِ بِسماتِك.
يداكِ منديلُ حريرٍ
يلفُ عنقي
كطوقِ زهورٍ
يشدّني نحوك.
مزمارُ الشوقِ
وآهاتُ انتظارِك
تسألني
عن غيابِ طويلٍ
يلوذُ بصمتِ مريب.
فتسكتُ الآهاتُ
والكلماتُ،

والعيونُ تمرّدتُ
على الضحكاتِ .
تلك الوردةُ الحمراءُ
أبتُ قطافها ،
وأغضبتُ نيسان .
كان بين الحقولِ
حبیبُها يرتادُها ،
يقضي ساعاتٍ طوالاً .
تسللتُ في ليلٍ دامسٍ إلى مخدعه ،
ونامتُ بين جنباتِ قرطاسه ،
واكتحلتُ بحبرِ الكلمات .
أدمعتُ عيناي
ببعدِ كاد يقتلني ،
أنا الحرفُ في خديك
ما زال يسجنني .
دعيني أعانقُ الوصالَ منك تشوّقاً ،
كي تقوى جناحتي ...

ماذا جنيتُ....

كي تهجري شوقي، وأنتِ

هواكِ بحري وأمواجي ومرساتي؟

دعيني أعانقُ

منكِ الوصال،

ولا تميتي بالهجرِ ضحكاتي...

مساء إلهامٍ وضياء

في هذا المساءِ
تتعانقُ الكلماتُ خجلى،
تنتظرُ همسةً أو ظلَّ ابتسامة.
حين يطرُقُ صوتُك أبوابَ قلبي،
ألوذُ إلى زاويةٍ
لا تشبهُ النهايات،
أركضُ، أجري كمن يعودُ إلى وطن.
ثم أهدأُ وأغفو على ضوءٍ،
صوتُك يزهرُ على الورق،
ضوءٌ لا يمكثُ،
يمضي بعيداً..
يشعُّ نورُه،
يضيءُ أسوارَ القدسِ المباركة،
ويمسُّ رَوْحَكِ الشاسعة،
حول كرومِ الزعترِ والزيتونِ وأشجارِ الليمون

الذاهية في الحنين .
هناك نُلقي معاً قصيدتنا
التي بعثرها البعاد،
وأطفأتها رياحُ الرماد،
غربةً سكنتُ أمنيّاتنا .
ترفرفُ فوقها الحماماتُ الزاجلةُ،
تحملُ لنا صدى الأفقِ،
وألوانَ قوسِ قزح .
نغدو إلى المدى،
ليس سوانا ..
سوى ما كتبناه معاً
في هذا المساء .
عدتُ إلى طاولتي،
لم أجذُ صوتك،
لكنني وجدتُك عنواناً لقصيدتي :
إلهامٌ وضياء .

أريج الروح

يا أريج الروح، زدني متعةً مثل الندى،
خذني إلى ساح الهوى..
يا سيدة العشاق، كل الصعاب في لقاءك طيفٌ مضى.
سيمفونية أنت، تغرقُ روحي طربًا،
أشدو ونبض قلبي ما سلا،
يراقصُ صبحي حتى يرقّ النسيمُ إذا الليلُ سجدى.
فالروحُ حيرى، والفؤادُ يصولُ،
وعيونٌ جادتْ بدمعِ الرجاء،
ليبقى ظلُ بيتٍ بتلّ الهوى،
يخفي بعضَ أسرارِ فتاةٍ تحبُّ الفتى،
ويدفعُ الموتَ عن تلك الربى.
أما العاشقين فيها تجول...
جودي بوصلكِ،
خيولُ شوقي قد شكتْ،
وصهيلُها خلف الضلوع،

وخافقي ملّ الجوى.

آه يا أنت،

هل هذا عشقك أم وجعٌ؟

غيومٌ عيني قد أسبلت دمعاتها،

وتسابت فوق الخدود تسيل.

يا ملهمتي، قولي: يكون اللقاء متى؟

فيه أبوح بقبلة وقصيدة للنجم إذا هوى.

فصل حبك في سفر العاشقين

على العرش علا...

يا أريج الروح، زدني قوة،

إنما أنا عاشقٌ أنا،

سيدة العشاق في ساح الهوى..

أما علمت أن أريج روحك لم يزل

يملاً الدنا؟

ما زال حبك فوق كرمي،

وطاب وردي، وسال الندى، وروى.

مناجاة

بيني وبين نصفي
الذي لا يبارحني،
حين احتدمتِ الأشواقُ،
ونضجتُ على نارِ الغياب،
ولسانُ حالي يقول:
يوماً وأنا
خارج التوقيت،
لا يرقُّ لي جفنٌ على
جفنٍ،
وأنتَ الذي نسيَ أن
يكتبَ مجيئه
على نافذتي.
روحي تناديك، توأمها أنت،
أهربُ من نفسي إليك،

وَأَنْتَ فِي قَلْبِي وَعَقْلِي،
مَعَكَ أَعْتَلِي الْغَيُومَ
فَرَحًا وَبَهْجَةً،
بِوَصَالِكَ رُوحِي تَتَمَاهَى بِرُوحِكَ،
وَأَنْتَ
أَنَا، وَكُلُّ الْأَنَا.

حين يتكلم النبض

مرهفٌ كأنينٍ وترٍ ضلَّ لحنه،
قلبٌ رقيقٌ كنسمةٍ فجرٍ مسَّتْ وردًا نديًا،
يُخبِّي وجعه بين أوراق الغيوم،
يُضيء حين تمرُّ أطيافُ ما يُحبُّ ويهوى،
يُحادث الصمتَ بلغةٍ لا يكتبها،
يرى في الوجدِ جمالًا.
قلبٌ يطلُّ على نافذة المساء، يُغني للضياء،
وحين يتكلَّم النبضُ، بهمساته يرتعش،
تصمَّت الحروفُ خجلاً،
ويمشي الدمعُ على أطرافِ الوقتِ،
يستفيق القلبُ حينًا فحينًا،
يُخبِّي الرعدة في الهواءِ،
يقولُ للريح: تمهلي،
هنا قلبٌ تلثم بين التوقِ والبهجة،

يكتبُ رسائله على صفحةٍ من سكونٍ،
كلُّ خفقةٍ قصيدةٌ،
وكلُّ تنهيدةٍ أنشودةٌ.
كم يُشبهُني هذا النبضُ!
يتكلَّمُ بصوتٍ واحدٍ،
بصمتٍ لا يُترجمُ،
وبكلامٍ لا يُقالُ.

وهج الروح

في كلِّ روحٍ قبسٌ نورٍ يتوهج.

يمحو الظلامَ إذا استجابَ لأمره،
داخلَ الإنسانِ أنجمُ سرّه،
تُخفي بريقًا حين يثقلُ عمره،
ومتى تراكمَ فوق قلبه غيمه،
انبثَّ نورٌ كي يبددَ كدره.
فالبشرُ مصابيحُ الرجاءِ إذا غفت،
والضوءُ يولدُ من جراحِ تَزهُّره.
يا شعلهً تسكنُ باطنَ الإنسانِ،
يا سرًّا يتخفى في العروقِ،
أنتَ الندى حين يعطشُ القلبُ،
وأنتَ الصدى حين يضيعُ الصوتُ.
وهجُ الروحِ ليس نارا تُحرقُ،
بل هو نَفْسٌ سرمدِيٌّ،
يمحو الغبارَ عن المرأة،

ويكشفُ وجهَ الذاتِ المضيءِ في العتمة.
كلّما انكسرتُ أجنحةُ الأيام،
نهضَ وهجُ الروح،
كطيورٍ من فجرٍ جديد،
يُخبئُ في جناحيه
حكاياتِ البداياتِ الأولى.
يا وهجًا يكتبنا دون حبر،
ويُزهَرُ في قلوبنا دون مواسم،
أنتَ المعنى الذي لا يشيخ،
والحقيقةُ التي لا تُوارى.
في متاهةِ الإنسان
تلمعُ نقاطٌ صغيرة،
لا يراها العابرُ ولكنّها تعرفُ أسماءنا القديمة،
وتدلّنا على مواسمِ الفرح.
في ليلٍ عميق،
ورغمَ ثقله الداكن،
يولدُ كوكبٌ،

كلُّ نديّةٍ قنديلٍ،
وكلُّ دمعَةٍ نافذةٍ،
ومن بين الشقوقِ يتدلَّى جبلُ الضياءِ.
من كفٍّ أُمِّي
تساقطَ خبزُ النورِ،
شمسُ الطفولةِ.
قلبُ الأمِّ مصباحٌ أبديٌّ لا ينطفئُ،
تحضنه موسيقى غامضةِ،
تعزفُها الأحلامُ.
حتى الرمادُ
يُخبئُ فيه جمرَةً تحنُّ إلى الريحِ،
وكلُّ قلبٍ، مهما أثقلهُ الحزنُ،
هو فانوسٌ يبحثُ عن يدٍ
كي تُشعله من جديدِ.
من صدعِ الصمتِ
انبثقَ طائرُ نورٍ،
حاملًا معه فجرًا يتسامى.

خطوة حبّ توجّد حياةً،
كافية أن تُشعلَ
بلداً معتمّةً أنهارتْ مدنها.
في زوايا القلبِ،
حيثُ تتكدّسُ الأحجارُ،
وتغفو الذكرياتُ تحت غبارِ النسيانِ،
تنبُتُ نقاطُ ضوءٍ صغيرة،
لا ترى نفسها في المرايا،
لكنّها تُضيءُ الطريقَ
لمن يجرؤُ على النظرِ إلى داخله.
في صمتِ العزلة،
حين يخفُصُ صخبُ العالمِ،
وتبقى وحدك
مع ارتجافِ قلبك،
تتقدّمُ النقاطُ كأنها سرّيراعاتٍ.
تذكرك أن الظلمةَ ليست نهاية،
بل مسرحاً خفياً لبدايةٍ أخرى.

في جسدِ كلِّ إنسانٍ كهوفٌ عميقة،
ومساحاتٌ ضائعة،
لكنَّ الضوءَ يتسرَّبُ كالماء،
يخترقُ الحجر،
ويعيدُ تشكيلَ الصدى
في مساراتٍ غريبة،
لكنّها تحملُ بذورَ
غايةٍ من النور.
من كفٍّ طفلٍ
سقطتُ شرارةَ قمرٍ،
فاشتعلَ الليل.
نقاطُ الضوءِ
ليست هباتٍ سماويةً وحسب،
إنّها نحنُ حينَ نغفر،
حينَ نحبُّ،
حينَ نحملُ على أكتافنا أوجاعَ الآخرين ونبتسم.
نحنُ قناديلُ ضوءٍ،

لكننا متفرّقون،
كلُّ يحملُ قنديلَه وحده.

وحين نلتقي
يتحوّل الكونُ إلى مَجَرَّةٍ من الأنوار.

في عيونِ الأطفالِ
يسكنُ النورُ كلُّه،
كأنّهم قناديلُ زُرعتْ في الأرض،

لندكرنا أنّ الأصلَ
ضياءٌ وإشراق.

ضحكةٌ صغيرةٌ
تهزّمُ جيوشَ العتمة،
وخطوةٌ متعثّرةٌ

تفتحُ للدهشةِ بابها الأول.

في يدِ طفلٍ
تختبئُ شمسُ الغد.
كلُّ إنسانٍ فانوسٌ،
مهما غطّاه الغبارُ،

حين تلمسُه يدُ الحنان،
يشتعلُ كأنه لم يعرفِ الظلامَ يومًا.
حين يتلاقى عاشقان،
يتحوّل القلبُ إلى مصباحٍ لا يخبو،
العناقُ لغّةُ الضوء،
والقبلاّتُ شمسٌ مصغّرة،
لا تغيبُ حتى في الليالي الطويلة.
هي شمعةٌ في العاصفة،
ولا تنطفئُ في الريحِ القوية.
في الحبِّ تذوبُ الجدرانُ بين الأرواح،
ويصبحُ كلُّ جسدٍ مرآةَ الآخر،
تنعكسُ فيها نجومٌ خفيّة.
حتى الموتُ،
ذلك الضيفُ الثقيلُ،
لا يخلو من نور.
حين يرحلُ الأحبةُ، كجواهر صامتة،
يتركونَ خلفهم أثراً مضيئاً.

وحين نتلاشى تبقى تلك النقاط تضيءُ دربَ من بعدنا،
كأننا شموعٌ أطفئت،

تقولُ للعابرين:

لقد مرَّ أناسٌ من هنا وتركوا أثرًا.

من وهجِ الروح...

يا صديقي،

لننظرُ إلى ومضاتِ النور،

إلى وهجِ الروح،

ففيها دواءٌ للجراح.

إذا ما أضأنا سراجًا صغيرًا،

نُنيرُ به بدورَ الضياءِ معًا،

ولا نطفئُ عينَ النجوم،

كي يبرغَ فجرٌ جديد،

به تزهرُ الأرضُ، ويتصرُّ الإنسان.

قصيدتي تسأل: من أنا؟

أنا زائدُ على دربِ المواني
أنا التيهُ الذي ضلّت خطاياي،
أتجيدُ قراءةَ صمّتي؟
وتدركُ ما تخبئه شفاياي؟
وجعُ الأساطيرِ البعيدِ أنا،
نارٌ أذوبُ ولا أداوي،
جراحٌ تلوّخُ في عيوني،
وحلمٌ تبعثرهُ المنايا.
صوتُ الرعودِ أنا بلا سماءٍ،
برقٌ تأخّرَ في السرايا.
أنا حزنٌ يُعلّقني صليباً،
وفجرٌ يخاصمُ بي مسايا.
أنا وطنٌ تورقه الدموعُ،
جفافُ الأرضِ يُسقى من بُكايا.
ولكنّني على جرحي صامتاً،

أعزفُ الآهاتِ ترانيمَ وطنٍ،
وأزرعُ في رمادِ القهرِ آمالي.
سأَمْضِي والنجومُ معي دليلي،
وأبني فوقِ الركامِ سنايا،
وأزرعُ من جراحاتي حياةً،
تناديني لأحيا في بقايا.
أنا النبضُ الذي رغمَ انكساري
يُقاومُ أن يُسلَّمَ للردايا.
سأَبْقَى رغمَ صمتي ألفَ صوتٍ،
يُنَادِينِي إلى فجرٍ تلايا.
أنا الإنسانُ مهما ضاقَ دربي،
سأَخْلُقُ من شظايا الروحِ رايا.

بين الهمس والحنين

بين الهمسة والحنين
أَمْشِي إِلَيْكَ...
كَأَنِّي أَتَهَجَّى مَلَامَحَكَ
مِنْ سَطَوِرِ الْغَيْمِ.
أَحْمَلُ قَلْبِي بَيْنَ كَفَّيَّ
كَمَا تُحْمَلُ زَهْرَةٌ نَدِيَّةٌ
فِي أَوَّلِ الرَّبِيعِ.
أَطْوِي الْمَسَافَةَ بَيْنَنَا
بِهِمْسَةٍ
تَحْمَلُ عِبْقَ اللَّقَاءِ،
وَتَفْتَحُ أَبْوَابَ الْمَسَاءِ
عَلَى نَوَافِدِ انْتِظَارِكَ.
أَغْرِفُ مِنْ حُضُورِكَ
طُمَأْنِينَةَ النَّدَى،
وَنَبْضَ الْمَطَرِ.

أشتاقُك...

كأنَّك دفءُ القصيدة

حين ترتعشُ الحروفُ

على صدرِ الورق.

أراك في فنجانِ قهوتي،

في رعدةِ الضوء،

وفي ارتجافةِ قلبي

حين يهمسُ اسمُك في الغياب.

وحدك...

تعيدُ ترتيبَ فوضاي،

تعلقُ روعي

كقلادةٍ على جيدِ اللحظة،

وتغزلُ من أنفاسي

وشاحًا للفرح.

بين الهمسِ والحنين

أراك نجمةً

تتدلى من حافةِ السماء،

تضيءُ عتمتي
وتُطفئُ وجعي...
ثمّ تعودُ لتسكنني
كما يسكنُ الليلُ في مآقي الحنين.
أرسمُك في فضاءِ غرفتي،
أضعُ رأسي على كتفِ الغيم،
وأحلمُ
كأنّك الوطنُ حين يعود
بعد شتاتٍ طويل.

يوم مولدي

من هناك... من أول الندى،
بدأ ميلادي.
هبةً من كرم الله،
وحضورٌ حملتني إليه أمي،
ونورٌ صغير
يمضي بي حيث يشاء القدر.
تمدّ السماء يدها
وتهمس:
اكتبي دهشةَ عمرِك...
فالنور يعرف طريقه.
تعثرتُ،
نهضتُ،
طفلةٌ تضحك للماضي
وتخبئ حلمًا للأيام
كدميةٍ قديمة

لا تزال تناديها.
وأُمِّي...
سِرُّ الطمأنينة،
اليدان اللتان التقطتا رعدة قلبي،
وهمستا:
أنتِ تستطيعين...
امضي، وكوني أنتِ.
كبرتُ على تلك الهمسة،
وتحوّلتُ إليها،
وحملتُها لأطفالي
حبًّا صافيًّا
وصدرًا يتسع للحياة
كما تتسع الأرض للمطر.
في يوم ميلادي...
واليوم يشرق غدي
على ضفاف قصائدي
أجمع أحبّتي في قلبي،

أكتب أسماءهم
كأنها موسيقى لا تهدأ.
واليوم...
أعرف جزءاً مني،
ولا أزال أبحث عن بقيتي؛
أمشي إلى الغدّ بثباتٍ هادئ،
غير أن قلبي لا يكفّ عن الرجاء:
ألا تنطفئ شموعُ الأحاب،
وأن يبقى النورُ دربسي،
والفرحُ وعدّاً صادقاً...
لا يخون.

يا سيّد الانتظارِ الطويل...!

يا سيّد الانتظارِ الطويل...

لم يكنِ البابُ

غفلةً من خشبٍ،

ولا كان قلبي

ساذجاً إلى هذا الحدّ...

كنتُ أعرفك،

وأراكَ

وأنتَ تمتحنُ صبري

كما يمتحنُ البحرُ

عنادَ الشاطئ.

دخلتَ إلى قلبي

دون استئذان،

كريحٍ مدلّلة

تعرفُ عناوينَ النوافذ،

وتحفظُ أسرارَ الستائر.

وتركت في دمي
فوضى...
جميلةً حدَّ الخطر،
لا تُقاوم،
ولا تُغفر.
لا تسألني
كيف أصبحت عادتي،
فأنا منذُ عرفتك
لم أعد أعرفُ
كيف كنتُ قبلك.
أنتَ الآن...
تسكنُ تفاصيلي
كأنك خلقتَ فيها،
كأنني
كنتُ أُخبِّئك
في غفلةِ العمر،
وأنتظرُك

دون أن أعترف.

أنا امرأة...

لا تمنحُ قلبها بسهولة،

لكنها

إذا أحبّت،

أحرقَتْ كُلَّ الجسور،

وأعلنتك

وطنها الأخير.

فلا تخفْ

من أنايتك...

فأنا أيضاً

أشتهي حبّاً

لا يُقسَمُ على اثنين،

ولا يؤمّنُ

بمتصفِ الأشياء.

تعال...

وكن فوضايَ التي لا أرتّبها،

وهدوئي
الذي لا أفسره.

كن اسمي
حين أضيع عن نفسي،

وصوتي
حين يخذلني الكلام.

لكن...

إياك أن تُغلق قلبك

إذا خفت الطريق،

فأنا امرأة

لا تطرق الباب مرتين،

ولا تُعيد كتابة العشق

إلا مرة واحدة...

لا نحتفل فقط بقلبٍ يخفق،

أو بإهداء وردة حمراء،

بل بيدٍ تمتد لتصافح،

وبصوتٍ يختار الحوار بدل الصراع،

وبروحٍ تؤمنُ أن الحبَّ رحمةٌ
أقوى من النزاع.
وبموقفٍ يتخذُ حين تتصاعدُ الخلافات،
فنختارُ الصفحَ بدلَ الانتقام،
والإنصاتَ بدلَ الإدانة.
في هذا اليوم، نتذكّر أن الحبَّ بأشكاله؛
حبَّ الله، واللهُ محبة،
وحبَّ الأمِّ بتضحيتها الصامتة،
وحبَّ الوالدين والبرَّ بهما،
وحبَّ الإخوة،
وحبَّ الوطن،
والحبَّ العاطفيَّ الشخصي،
وحبَّ الإنسانِ للإنسان،
والعائلةِ والأصدقاء...
جميعها حبٌّ لا يشيخ،
يسكنُ الروحَ والقلب.
حبُّ الآخرِ واحترامه،

وَحُبُّ الشُّعُوبِ وَتَقَبُّلُهَا،
الْحُبُّ الَّذِي يَرْحُمُ انْكَسَارَاتِ الْبَشَرِ،
هُوَ الْقَادِرُ عَلَى إِطْفَاءِ
نَارِ الصَّرَاعَاتِ.
لَعَلَّهُ يَزْرَعُ الْأَلْفَةَ وَالْاِحْتَوَاءَ،
وَيَتَّخِذُ التَّسَامُحَ عَهْدًا،
يَبْتَثُّ السَّكِينَةَ فِي الْقُلُوبِ
الَّتِي تَتَوَقَّعُ إِلَيْهَا النَفْسُ الْبَشَرِيَّةُ.
الْحُبُّ الَّذِي يُوَقِّفُ الْحُرُوبَ
لَيْسَ شِعَارًا يُرْفَعُ،
بَلْ شَجَاعَةٌ قَلْبٍ عَامِرٍ بِالْمَحَبَّةِ،
يَرَى فِي الْآخِرِ إِنْسَانًا قَبْلَ أَيِّ اخْتِلَافٍ.
لَنَكُنْ رَسْلَ مَوَدَّةٍ،
نُؤْمِنُ أَنَّ الْمَحَبَّةَ
قَدْ تَبَنَّى جَسُورًا...
كُلُّ عَامٍ وَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْنًا وَسَلَامًا،
وَالْحُبُّ أَقْوَى مِنْ أَيِّ نِزَاعٍ...

لتكن قلوبنا عامرةً بالحبِّ والوفاءِ

الذي لا ينضب،

والجمالِ الذي لا يذوب...

أينما يوجد الحبُّ توجدُ الحياة.

واحة الحنان

أمي...
منكِ تعلّمتُ
كيف يكونُ الحبُّ
وكيف تنبضُ الحياةُ
في قلبٍ
أنهكتهُ الطرقات.
كنتِ
سماءً تميلُ على الأرضِ
كي لا تسقط،
وكنتِ
واحةَ الحنانِ
حين يجفُّ العمرُ
ويشتدُّ العطشُ.
أحببتنا

كما تُحبُّ الطيورُ
أغصانها،
وكما يعانقُ المطرُ
ترابهُ الأول.
كلُّ ما فيك
كانَ يشبهُ الطمأنينة:
صوتُك،
خطواتُك،
حتى دعاؤكِ
كانَ يفتحُ للنوافذِ
أبوابَ الضوء.
دروسكِ
رائحةُ مسكٍ
وعنبر،
وباقةُ ياسمينٍ
لا تذبلُ

ولو مرّت عليها
سنونُ التعب.
كنتِ زينةَ الدار،
وشمعتُهُ
التي لا تنطفئ،
نورَ القيامِ
في ليالي الخوف،
وطمأنينةَ القلب
حين تضيقُ الجهات.
أمي...
ما زلتُ أذكرُ
خبزَكِ الساخن،
يخرجُ من يديكِ
كأنّه قطعةُ حبٍّ
مخبأةٌ برائحةِ القمح.
وأذكرُ اللبنَ

الذي شدَّ عظامي،

وأنا ملكٍ

تمشطُ شعري

برفقٍ صلاة،

فأشعرُ

أنَّ العالمَ كلَّه

صارَ أكثرَ أمانًا.

كنتِ تغنينَ

فننًا

على صوتكِ

مثل عصافيرَ صغيرة،

نفهمُ معنى الحنان

دونَ أن نقولي

شيئًا.

ومنكِ

تعلمتُ الصبر،

ذاك الصبرُ
الذي يشبهُ الجبال،
وتعلّمتُ
أن التسامحَ
أجملُ ما يتركهُ الإنسان
في قلوبِ الآخرين.
أحنُّ إليك...
إلى حضنكِ
الذي كانَ
وطناً صغيراً
لا يعرفُ الحزن.
وما زالَ صوتكِ
يسكنُ مسمعي،
يهمسُ كأعذبِ الألحان،
كلما أرهقني التعبُ
أو ضاقتُ بي الحياة.

لروحك
كلُّ السلام،
ولذكراكِ
عمرُ الياسمين،
فأنتِ
لا تغيبين...
ما دام في القلبِ
نبضٌ،
وفي الروحِ
دعاء.

متعة العيد

يا عيدُ...

تمهّل قليلاً

وأنتَ تعبرُ أبوابَ المنهكين،

فثمةَ قلوبٍ

تكسّرتْ على أرصفةِ الانتظار،

وثمةَ أعينٍ

أرهقها السهرُ

حتى صار البكاءُ

خبزَها اليوميّ.

يا عيدُ...

كنَ رحيماً

بأرواحِ أكلها الحنين،

وبأحلامٍ

بعثرتها الرياحُ

في مدنِ الغياب.

ليتني
أكونُ جديرًا بفرحك
ولو لليلةٍ واحدة،
أستظلُّ فيها
بصوتٍ من أحب،
وألوذُ من قسوةِ الأيام
بحضنٍ
يشبهُ الأمان.
أتى العيدُ
وأنا أرفعُ دعائي سرًّا:
أن أراكِ سالمةً
كفجرٍ
لم تلوثهُ الحروب،
وكوردةٍ
نجتُ من رمادِ المواجه.
فمتعةُ العيد
ليستُ ثوبًا جديدًا،

ولا زينةً شارع،
ولا ضحكةً عابرة...

متعة العيد

أن ترى قرّة العين مطمئنة،
ومهجة القلب

تنامُ بلا خوف،

وأن يبقى الذين نحبهم

قريبين من أرواحنا

ولو أثقلتهم الحياة.

يا عيدُ...

منك يبدأ الرجاء،

وفيكَ

نرممُ ما كسرتهُ السنون،

ونسألُ الله

أن يمنحَ هذا القلب

قدرة الصمود

رغم كلِّ الآهات.

اللهم
اجعلْ صباحاتِ أوطاننا
أكثرَ سلامًا،
وأقلَّ وجعًا،
واجعلْ للناسِ
في العيدِ
فسحةَ فرحٍ
لا يعقبها حزن.
وكلُّ عامٍ
والقلوبُ بخير،
والوطنُ بخير،
والأحبةُ
بألفِ عيد.

حديث الروح

حنينٌ صامتٌ،

همساتُ الروحِ للروحِ تشكو،

تولدُ من وجعِ القلوبِ،

تمشي على أطرافِ الصمتِ،

وتنسبُ خفيفةً كضوءِ حنون.

تنامُ الآهاتُ بين ثنايا النبضِ،

تعانقُ نافذةً أرهقها الانتظار.

هل ستطولُ معاناةُ الأبرياء؟

ويظلُّ الليلُ ثقیلاً على عيونهم؟

كأنَّ النورَ نسي الطريق.

أطفالُ في الحربِ غرباء،

يبحثونَ في الكونِ عن قناديلِ ضياء،

يكبرونَ قبلَ الأوانِ،

بلا حدائقَ تزهرُ بها سنابلُ الحنينِ بالضحكاتِ،

وبلا ألعابٍ تلونُ الوقتَ بقوسِ قزح.

من سيحرُسُ أحلامهم الخضرَاء؟

تساقطُ تباَعًا

كفراشاتٍ مكسورةِ الجناح،

تئنُّ، لا تجدُ رحيقَ الأزهار.

تهمسُ الأشجارُ للنسيم

عن حزنٍ يسكنُ جذورها،

وعن طيورٍ لا تغرَّدُ ولا تبني عشًّا على غصيناتِ الجمال.

رحلتِ النوارسُ،

والسنونو ما زال ينتظرُ ربيعًا تأخر.

أصغي إلى هذا الحزنِ الشفيف،

بروحٍ أتعبها الحنين،

إلى بهجةٍ كانت هنا،

وإلى فرحٍ تأجل.

أصغي كي لا يختنقَ البوحُ ويسكتَ الكلام،

إلى ومضةِ الروح،

وإلى توقٍ لا ينطفئ،

وإلى نبضٍ وجدٍ

يبحثُ عن معنى الحياة
في قلبِ هذا الدمارِ.
عن شمسٍ غاب نورُها،
وعن قلبٍ ينبضُ فرحًا وحنينًا.
متى تملُّ الحروبُ من صخبها؟
متى تسقطُ البنادقُ كأوراقٍ جافةٍ في حديقةِ الصمت؟
متى تعودُ الأرضُ إلى هدوئها؟
كما تعودُ الأمُّ إلى طفلها.
ألا يستحقُّ الربيعُ زهورًا تتفتح،
ويتضوُّعُ عطرُها مع نسيمِ الصباح؟
والسماءُ طيورًا تكتبُ بأجنحتها نشيدَ الحياة،
وتغرّدُ للحبِّ في نيسان؟
ألا يستحقُّ الأطفالُ
ضوءَ شمسٍ يشعُّ من عيونهم؟
كما تلمعُ قطراتُ المطرِ فوق السهولِ والجبالِ.
فقدَ الأملُ، وضاعَ الجمالُ.
أين ذهبَت قصائدُ الشعراءِ

لتزرع الأمل في العيون،
وتبني من الجمال مراسي
تؤوي أرواحًا تلاقَتْ عند الشيطان؟
اختفت الأغاني بين مدن الدخان،
وبقيت الروح في صمت عميق،
تنتظر فجرًا يتسامى ويمسُّ عين الليل،
تسأل: أين هي الابتسامات؟
يا روحًا، أسري إليّ نسيماً يحملُ الكلمات،
إلى فجرٍ ينيرُ نافذة الصباح،
وإلى كلِّ طفلٍ ينتظرُ
حكاية المساء،
وإلى قلبٍ يئنُّ في صمت،
كزهرة بين الصخور،
وإلى عيونٍ حبست دموعها
خبلاً...
كيف تكتبُ حديث الحنين على دمار الجدران؟
وترسمُ فيها الغيم فوق الجبال،

وتلَوْنُ البحارَ بِأَمْواجٍ من الضحكات،
وتزرعُ الخيرَ في الحقولِ المهجورة،
فتزهَرُ أشجارُ الليمونِ والبرتقال.
هناك نَهْرٌ ينتظرُ أن يجدَ مجراه،
لتلمعَ مياهه كمرايا للسماء.
إلى كُلِّ روحٍ تهتفُ بصمتٍ
للأملِ والأمان،
ولتضحكِ البيوتُ في استقبالِ نورِ الصباح.
وليبقَ حديثُ الروح
نغمةً هادئةً
على ضوءِ نورٍ لا ينطفئ،
تعزفُ الموسيقى أغنيةً خالدةً للحياة،
وتهتفُ إلى انتصارِ الإنسان.

من يسكن قصيدتي

شعوبٌ تنكسرُ على أهدابها المرافئ،
وأوطانٌ جريحةٌ تخطُّ خرائطها بخيوطِ الدمعِ والصبر.
ذاكرةٌ وطنٍ جميلٍ،
حدائقٌ لا تذبلُ ورودها،
كلما مرَّ الحنينُ بها
أزهرت، وعادتِ الفراشاتُ
تبحثُ عن سليلها.
صرخاتُ أطفالٍ
تبحثُ في الغيمِ
عن وجهٍ لا ينكسر.
عدلٌ... وأطفالٌ لهم حياةٌ،
لا موتَ فيها ولا رماد.
يرسمونَ الشمسَ في كفوفهم،
ويكبرونَ على أملٍ تأخر.

امرأةً من ضوءٍ بعيدٍ،
تأتي كالفجر حين يزهو،
لا تنام على انكسار،
تضيء عتمة الدرب،
وتزرع في المسافات
ألفَ انتظارٍ.
أضواءُ روحٍ لا تنام،
تمشي مع نسيم الصباح،
وتنثر في التيه ألفَ قمرٍ،
وتحملُ دفءَ أنفاسٍ
من عبقِّ الوردِ والعنبر.
تمشي على وجع الليالي،
وفي خطاها حلمُ فجرٍ،
وعلى ملامحها
كُتبَ وعدٌ لا ينكسر.
تسمعُ هديلَ الحمام

رغم الركّام،
يُمَدُّ جناحيه على النوافذ،
ويحملُ رسالةً سلامٍ متتظّرٍ.

رسالة من الغياب

أمّاه،

سامحيني،

فأنا لا أستطيعُ التَّنَفُّسَ.

لا تبكي على فراشةٍ

سبقتُ موعدَ الخريف،

فبعضُ الأجنحةِ تتعبُ

من مقاومةِ الريح،

فتختارُ السفرَ نحوَ الضوء.

لا تقولي إنني رحلتُ،

بل قولي: إنها نجمةٌ صغيرةٌ

أكملتُ طريقها في سماءٍ أخرى.

سأشتاقُ إلى عنائك،

إلى ذلك المرفأ الذي

كانتُ تهدأُ عنده

عواصفُ قلبي.

وسأشتاقُ إلى عينيك
وهما تزرعانِ الأمانَ
في دروبِ أيّامي.

أعلمُ أنّ الفقدَ جاءَ قبلَ أوّانه،
كوردةٍ قطفتها الريحُ
قبلَ تمامِ عيرِها،
لكنّ الحبَّ لا يرحل.

فإذا مرّ طيفي في ذاكرتك،
فارفعي رأسكِ نحوَ السماءِ
وابتسمي...
فأنا ما زلتُ هناك.

في دعوةٍ منك،
وفي نبضةٍ شوقٍ،
وفي كلّ دفءٍ
تركتَه يدالكِ في روحي.

أحبُّك...

كما يحبُّ النورُ نافذته الأولى،
وكما يحبُّ الطائرُ عشَّه،
حتى بعدَ أن يغادره إلى الأبد.

سامحيني يا أمِّي،
كم حاولتُ ألا أبكيك،
وكم بكيتُ...

كيف ستُكملين الطريقَ من دوني؟
وها أنا أتركُ عمرًا من الحنين.

الآنَ يحرسُني الله،
وسأحرُسُك أنا، كملاكٍ طاهرٍ...

مرايا القلب وانكسار الصمت

حين يضيقُ الكلامُ بما في الروح،

وتعجزُ اللغةُ عن حملِ ذلك الوجد النبيل،

تولدُ القصيدةُ بوصفها المرأة الأخيرة للقلب.

ومن هنا يأتي ديوان «مرايا القلب وانكسار الصمت» للشاعرة نادية عوض، لا بوصفه مجموعةً

نصوصٍ عابرة، بل باعتباره رحلةً إنسانيةً عميقةً في دهاليز الشعور، ومواجهةً صادقةً بين الذات وما يحيطُ بها من حبٍّ وخذلان، حضورٍ وغياب، حلمٍ وانطفاء.

في هذا الديوان تتكئُ الشاعرة على حساسيةٍ عاليةٍ في التقاط التفاصيل الصغيرة التي تصنعُ حياتنا الداخلية، فتبدو القصائد كأنها اعترافاتٌ مؤجلة، أو نوافذٌ مفتوحةٌ على قلبٍ يعرف كيف يحب، وكيف يتألم، وكيف يحوّل الانكسار إلى جمالٍ لغويٍّ نابض.

إنّها لا تكتبُ من خارج التجربة، بل من عمقها؛ لذلك تأتي الكلمات حارةً، مشبعةً بالصدق، بعيدةً عن الزخرفة المجانية، وقريبةً من روح القارئ أينما كان.

يحمل عنوان الديوان دلالةً الخاصة؛ ف«المرايا» ليست سوى انعكاساتٍ متعددةٍ لذاتٍ تبحث عن صورتها الحقيقية وسط ضجيج العالم، أما «انكسار الصمت» فهو تلك اللحظة التي تقرر فيها الروح أن تتكلم، مهما كان الكلامُ موجعاً. وهنا تكمن قوة النصوص؛ إذ تتحول القصيدة إلى مساحةٍ للمكاشفة، وإلى صوتٍ داخليٍّ يرفض أن يبقى أسير العتمة.

لقد استطاعت الشاعرة نادية عوض أن تمنح نصوصها بعداً وجدانيّاً واضحاً، وأن توازن بين رهافة الصورة الشعرية ووضوح الإحساس، فبدت القصائد كأنها مقاطعٌ من سيرة قلبٍ عاش كثيراً، وتأمل كثيراً، وما زال يؤمن بأن الشعر قادرٌ على ترميم ما تكسره الحياة.

إنّ القارئ لهذا الديوان لن يمرَّ بين صفحاته مروراً عابراً، بل سيجد نفسه في مواجهة مرآته الخاصة، حيث تختلط الذكريات بالحنين، والأسئلة بالاعترافات، ليبقى الشعرُ في النهاية ذلك الضوء الذي لا ينطفئُ مهما اشتدَّ الليل.

الشاعر قاسم عز الدين الدوسري